«... وتحقق الأمل»

صدر حديثا ضمن سلسلة علوم الايزوتيريك رواية «... وتحقق الامل»، وهي باكورة اعداد ثلاث نساء عملن معا في انجاز تحفة ادبية تشهد ببراعتهن، وهن: المهندسة هيفاء العرب، الاستاذة لبنى نويهض، والمهندسة ندى شحادة معوض، الكتاب يضم ٣٠٤ صفحات من الحجم الوسط، منشورات اصدقاء المعرفة البيضاء، بيروت.

يبدو انه لم يشهد تاريخ الرواية العربية ثلاث نساء انتظمن معا ليس بالتكافل والتضامن والتكافؤ وحسب، بل بالمنهج والاسلوب والسرد والحنكة والمفاجآت غير المتوقعة.. عمل كل ما يلزم لصياغة وبناء رواية عصرية مميزة. والحكم يعود للقارئ في النهاية.

«... وتحقق الامل» بما يتخلله من تشويق ومن بعد وعمق وتحليل دقيق ينطوي على رقة هفهافة وشفافية تصوير نطال ما لا يخطر في البال، تطال ما لا تستطيع غير المرأة كشفه لجهة فهم دواخل المرأة، يروي الكتاب قصة حقيقية من صميم الحياة المعاصرة، ترتكز اهميتها على ما لا يمكن للانسان ان يستمتع من دونهما: الفكر والعاطفة... محبوكان في وحدة حياتية متلازمة، ارتقاء نحو اسرار سعادة الحب والتنعم في عيش الحياة كالمخلوقات النورانية.

«... وتحقق الامل» يذكرنا في بعض جوانبه بعهود رومنسية، لكن بأسلوب مبتكر اكثر منه مشوق يتماشى مع العصر، فلا غرو ان طمح للانتشار في كل زمان وكان.. ويذكرنا ايضا بقصص الحب التي خلدتها الازمان،لكن بطريقة انسانية تستفز المشاعر وتتفاعل معها الى حد الفرح العميق، والى حد العذاب الذي يطال الوجع، والبكاء احياناً.

ابطال «... وتحقق الامل» اربعة، متناقضو الشخصية، انما يجمعهم هدف مشترك هو انقاذ المرأة في عهدتهم، مسرح القصة واقع تصرفات كل منهم بما تشهده من تحايل ومراوغة وخداع وعذاب الى حد المأساة، ومن عذوبة ورقة الى حد الشفافية، ومن قسوة الى حد البطش، واستنزاف يجاري الموت البطيء! ومهما بلغ التكدر اشده، فلا تخلو النفوس من لحظات صفاء وانخطاف ملهم وعودة الى الذات في حس جمالي برقرق السرد، ويضفي عليه لمسات من ابداع الفكر اناقة التعبير العاطفي في عبارات تصويرية مضيئة تخلد الحب في الحياة، الى ما بعد الحياة!

الى اي حد نستطيع اعتبار «... وتحقق الامل» فتح جديد في الرواية العربية الحديثة؟! قصته تغور في دهاليز نفس امرأة عبثت بالحب الفضائل، فغرقت في طيشها، في صراعات صارخة بين الجهل والالم والضياع، الى ان ارتدت ووجدت الحب من جديد، عرفته حقيقة سعادة في صميم الواقع المعاش، سعادة تتمحور حول الوعي، وعي حقيقة ان الحب وحده هو ما يعبئ نقصان النفس، ونقصان المرأة في الرجل ونقصان الرجل في المرأة... لقد اكتشفت بطلة الرواية معنى وهمية الحب في حياة كل انسان، والذي مهما ارتقى بوعيه لا يتفوق في حياته من دون الحب، حيث «ارادة الحب تحقق ارادة الحياة!».

هكذا تروي بطولة القصة بدايات حياتها التي لم تكن سوى بذخ في الثراء.. وبحث عن لذة لماعة افقدتها قيمة المرأة داخلها، لك ارادتها للحياة جعلت يد الحب تنتشلها من بؤرة ضياعها، فوعت انه «لا معنى للحياة ان بدأت بمجد ونتهت بمجد ولم ترطب بدمعة حب واحدة!».

هنا يبرز السؤال المحير، كيف ينمو الحب الكبير في واقع مأساوي؟! لا بد من الاشارة اولا ان تعرية الجسد سهلة، واعترافات لواعج القلب ربما اسهل... لكن الى اي حد تستطيع المرأة تعرية افكارها امام الحبيب... والبوح بكل الاسرار التي احتفظت بها لنفسها كحلى

نادرة نفيسة او ورثتها اياها التجارب الحيطة والحذر، والريبة والشك، واهمها حدث المرأة وما تكشفه لها احلامها.. فهذا كله من بين ذكريات اخرى يشكل منتهى خصوصية المرأة، وهذا كله تكتنزه في تلك الزاوية الحميمة من الذاكرة.. ربما اللجوء عليها من حين لآخر، او مقارنتها بالواقع المعاش، المرأة التي تريد ان تأخذ من الحياة اكثر من غيرها، يجب ان تعطي الحبيب اكثر من غيره. والأمر ينطبق بحذافيره على الرجل ايضا. حينئذ كلاهما يجعلان من مكنونات الذهن والفؤاد تربة خصبة على مسار توحيد حياتهما المشتركة باتجاه الحب الكبير الذي يطمح اليه كل شاب وفتاة، الحب الكبير الذي يتسامى فوق التنغيص والكدر والعذاب والمكابدة والدموع.. فيتفتق الذهن والفؤاد معاً على سعادة لم تخطر في البلاد! كما باح الحبيب بعفوية الصدق «ان سعادتي لا تقاس، لان سعادة من ينظر الي في سعادتي كبيرة».

بأسلوب دقيق وانسيابية عفوية ممتعة يصور الكتاب قصة صراع الوعي ضد جهل النفس للنفس. ليحول هذا الوعي الظلمة الى نور، ليحول الضياع الى لقاء، والانهيار الى تجربة تحد نهضت بحطام امرأة من الحضيض الى اسمى معاني الحب كما يمكن ان تجسده المرأة الى جانب من تعشق.

ناجت بطلة القصة حبيبها معبرة عن تجربتها قائلة «كنت دائما ابحث عن الحب الحقيقي، لكني لم اكن اعرف ما هو، ولم اكن قادرة على ان اعرفه لنفسي او ان ارسم صورته، كنت ابحث عن شيء اتمناه لكن لا اعرفه، معك، بات الحب صورة جلية، وبت ايضا افهم نفسي بوضوح، لا بل اقرب الى نفسي بعد ان كنا غرباء عن بعضنا، رائع ما علمتني، وكم علمتني، جعلتني اكتشف نفسي دونما سفسطة او تعقيد، انما ببساطة وانسيابية وصدق».

وعت البطلة «ان الحياة سلسلة هائلة من جمال يتعلق بحب، وحب يتعلق بعظمة، وعظمة تتعلق بخلق، وخلق يتعلق بخلود، وخلود يتعلق من جديد بحب».

ووعت المرأة التي تعرف كيف تحب، تعرف كيف تنصهر فيمن تحب، بدفء ما بعده.. واندماج ينبعث من جوارحها فتنجبل بكليتها في كل حركة تأتي بها، وتكون في كليتها قبلة تجسد بلاغة صدق حبها في صمت مبين.

ومن منطلق «من يفتقر الى الحب يفقد الوجه الانساني فيه»، يتوجه الكتاب الى كل من يعيش الحب، او يبحث عنه، حتى وان تنوعت تفاصيل التجربة او اطرها الظاهرة.. فالنفس البشرية تبقى واحدة في معاناتها، ولعل معاناتها الكبرى في الزمن الراهن هي افتقارها لحقيقة الحب.. فكيف «... يتحقق الامل»؟!؟!؟!